تخريج ودراسة الاحاديث الواردة في تفسير مواهب الرحمن للشيخ عبد الكريم المدرس(رحمه الله) (سورة مريم الى الآية ٤٠ نموذجاً)

سعد خميس أحمد الدليمي

Graduation and study of the hadiths mentioned in the interpretation of the talents of Rahman Abdul Karim Al-Mudarris (God's mercy upon him)

(Surat Maryam to verse 1- 40)

Saad Khamees Ahmed Al-Dulaymy

The study deals with the study and graduation of the Hadiths that were mentioned in the book: The interpretation of the talents of Rahman to Sheikh Abdul Karim Al-Mudarris, which includes the interpretation of Surat Maryam 1 - 40 vers collected in the interpretation of the subject of interpretation and the interpretation of the interpretation of the opinion of the jurisprudential aspect of the verses of the provisions and weight in controversial issues, Abdul Karim Al-Mudarris "God's mercy".

Pour vérifier et étudier les Hadiths dans l'interprétation du Coran " Mawahib Al Rahman " d'Al Sheikh Abdul Karim Al Mudariss " Sourate Maryam, verset 40, comme un exemple "

Saad Khamis Ahmed Al-Dulaimi...

Cette recherche porte sur l'étude et la verification des Hadiths où le livre d' Al Sheikh Abdul Karim " Mawahib Al Rahman " contient, qui comprend l'interprétation de sourate Maryam 1-40, ainsi il en a posé l'interprétation qui base sur les versets et les Hadiths " Al Ma'a thour " et l'interprétation de l'opinion, prenand en garde le côté jurisprudentiel des versets de jugements et de prépondérance " probabilité " dans les questions de la controverse, il a aussi ajouté quelque chose de la biographie d'Al Cheikh Abdul Karim Al Mudariss , que la miséricorde d'Allah soit sur Lui…

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي اصطفى الإسلام دينا لصفوة بريته، وبعث به المرسلين الذين اختارهم من خليقته، وجعلنا قوامين بشريعته وعلى ملته، ذابين عن حريمه عاملين بسنته، نحمده حق حمده ونسأله التوفيق لرشده، ونرغب إليه في المزيد من فضله وصلى الله على خاتم رسله سيدنا محمد أفضل النبيين، وخيرة الله من الخلق أجمعين وعلى صحابته الأخيار المنتجبين، وتابعيهم بالإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فمن تمام فضل الله تعالى على عباده أن أكمل لهم الدين الذي ارتضاه لهم، وتكفل بحفظه وحفظ مصادره وأصوله، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (١)، وبعث النبيﷺ هادياً ومبشراً ونذيراً، وجعل وظيفته بيانا لكل ما يحتاج إلى بيان في هذا الكتاب، فبين وفسر، وصار بيانه لازماً لحفظ القرآن، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢).

ومن هنا هيأ الله تعالى لكتابه وسنة رسوله من يحفظونهما جيلاً بعد جيل، حفظاً في الصدور وحفظاً في السطور جنباً إلى جنب فقاموا بخدمة الكتاب والسنة فما تركوا جانباً من جوانب العلم تحتاج إليه الأمة إلا قاموا به، فنجم عن هذه الحركة كتب قيمة وموسوعات ضخمة نفيسة اشتملت على الصحيح والحسن والضعيف، ومنها ما اشتمل على أقوال الصحابة والتابعين(٣).

ولشدة عنايتهم بالسنة المطهرة التي هي ثاني مصادر التشريع عُني الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من التابعين وعلمائنا الغر الميامين، بحفظ السنة

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٢) سورة النحل، من الآية: ٤٤.

(٣) ينظر دفاعٌ عن السنة: ص٥.

وحرصوا عليها أشد الحرص. حتى وصل بهم الأمر إلى تأسيس علوم تعنى بفهم الكتاب والسنة فقعدوا القواعد ووضعوا الأسس لتخليص السنة من الشوائب التي أدخلت عليها لاسيما وقد دس فيها أحاديث مكذوبة وموضوعة من قبل أصحاب الأهواء ورجال العبث والفساد، حتى صار ما ذكرنا سبباً لوضع ضوابط تميز الصحيح منها عن السقيم.

وكان من هذه العلوم علم التخريج الذي تكمن أهميته في أنه يخدم الحديث النبوي الشريف الذي هو تفسير للقرآن الكريم، وبيان لمراده، وحجة فيما يهم المسلم في حياته، من العقائد والعبادات، والمعاملات، والآداب والأخلاق وغيرها،

هذا واقتضت طبيعة بحثي أن أقسمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

تكلمت في المبحث الأول: عن سيرة المؤلف الذاتية.

وجعلت المبحث الثاني: سورة مريم الى الآية ٤٠ نموذجاً

الخاتمة: وذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من النتائج في هذا البحث مع التوصيات.

ثم أتممت البحث بعد ذلك بالمصادر والمراجع.

وبعد هذا الجهد المتواضع الذي أحسب أني قد بذلت فيه قصار جهدي، ومضيت في إخراجه وقتاً طويلاً، أرجو أن أكون قد وفقت لذلك، فالله أسأل أن يجعل عملي خالصاً وصواباً.

هذا، وما كان من صواب فمن الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وما توفيقي ولا اعتصامي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

الباحث

المبحث الأول
التعريف بالمؤلف
المطلب الأول
سيرته الذاتية

- **أولاً: اسمه ونسبه**

قال الشيخ –رحمه الله– عن نفسه في كتابه (علماؤنا في خدمة الدين)[١]: أنا عبد الكريم بن محمد المتولد في قرية (تكية) على مقربة من مركز ناحية خورمال: ابن فتاح بن سليمان بن مصطفى بن محمد من عشيرة (ماييندول) على عين (سه راو سوبحان آغا). وفي قرى أخرى مجاورة لها.

- **ثانياً: لقبه**

اشتهر –رحمه الله– بألقاب عديدة أشهرها عبد الكريم بيارة وعبد الكريم المدرس.

عرف بلقب (بيارة) نسبة إلى مدينة (بياره) وهي تقع أقصى الشرق من محافظة السليمانية[٢] وعرف بلقب (المدرس) بسبب مواصلته التدريس لأكثر من ٨٠ عاماً لذلك أصبح يعرف بالشيخ عبد الكريم المدرس[٣].

وقيل أنه لقب بـ(المدرس) لأنه مارس مهنة التدريس في بياره أربعاً وعشرين سنة[٤].

---

(١) ص٣٢٤.

(٢) ينظر الشيخ عبد الكريم المدرس وآراؤه الكلامية في كتابة جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام، ص٦.

(٣) ينظر المصدر نفسه ص٦.

(٤) ينظر جهود الشيخ عبد الكريم المدرس الفقهية، ص٢١٨.

ثالثاً: ولادته

ولد الشيخ عبد الكريم المدرس –رحمه الله– في قرية (درة شيش العليا) التابعة لقضاء حلبجة ضمن محافظة السليمانية في ربيع الأول موسم الربيع سنة ١٣٢٣هـ الموافق لسنة ١٩٠٢[١].

رابعاً: وفاته

توفي الشيخ –رحمه الله– وكان له من العمر قرابة ١٠٦ سنوات. وقضاها رحمه الله في طلب العلم والتدريس والإفتاء. قضى منها أكثر من اثنين وثلاثين سنة في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني مدرساً ومفتياً. توفي –رحمه الله– صبح يوم الثلاثاء ٢٥ رجب ١٤٢٦هـ الموافق ٢٩– ٨– ٢٠٠٥م. ودفن بالمقبرة الكيلانية، وحضر مراسيم تشيعه جم كثير من العلماء والمسؤولين وأهالي بغداد وأقيمت له في بغداد و أربيل والسليمانية مجالس عزاء، وتبادر السياسيون والأدباء والمفكرون والأحزاب والمنظمات الإسلامية برقيات التعازي كما رثي –رحمه الله– بعدد من القصائد التي بينت مدى المحبة التي يكنها له طلبته. من ذلك قصيدة الشيخ رافع العاني المسماة (يا سيد العلماء).

والتي جاء فيها:

عبد الكريم! وهل يفيد بكاها حزن الثكالى في ربيع صباها

في الدين من ذا يستطيع بناها أنى يكبل جانبيك ثراها

وضعت جوانحها له ليطأها حراً يروم من الذرى وهداها

ولثمت قرناً من رضاب لماها عذب المناهل فاز من وافاها[٢]

(١) الشيخ عبد الكريم المدرس وآراؤه الكلامية ص٧.

(٢) ينظر (جهود الشيخ عبد الكريم الفقهية ص٢٥، والشيخ عبد الكريم المدرس وآراؤه الكلامية ص٢٣– ٢٤.

المطلب الثاني

سيرته العلمية

- **أولاً: شيوخه**

تتلمذ الشيخ –رحمه الله– على يد علماء مشهورين في العالم الإسلامي عامة وفي العراق خاصة . ومن هؤلاء:

١– الملا عبد الواحد الملا عبد الصمد الهجيجي[١]:

وهو من مواليد ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٩٦م. درس عند والده في قرية (بالك)[٢]، ثم في المدارس الموجودة في الناحية، ثم ذهب إلى بيارة ودرس عند الشيخ عبد القادر المدرس، قال عنه الشيخ (ولهذا الأستاذ المحترم حقوق أبوية علي، أدبني وعلمني ورعاني وكان بينه وبين المرحوم والدي صداقة راسخة في الدين جزاه الله تعالى). توفي حوالي سنة ١٣٥٢هـ. الموافق ١٩٣٤م في قرية (ساوجي) قرب (بنجوين) –رحمه الله– وطاب أثره[٣].

٢– الملا عارف بن الملا عبد الصمد الهجيجي:

ولد في حدود ١٢٩٠هـ الموافق ١٨٧٤م. في قرية (بالك). وبعد التميز قرأ القرآن الكريم عند والده فالكتب الصغار فابتدأ بالعلوم العربية والفقه ودوام عليهما، وتجول في المدارس حتى استوى وكان له صوت حسن، وخط جيد، وهيكل معتدل مهيب. وكان الشيخ المدرس من طلابه وقرأ عليه السيوطي شرح الألفية لابن مالك، توفي سنة ١٣٣٠هـ[٤].

---

(١) علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص٢٩٢– ٢٩٣.

(٢) إحدى القرى التابعة لناحية مريوان في إيران (ينظر علماؤنا في خدمة العلم والدين: ص٥٦٣.

(٣) علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص٣٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص٢٥٨– ٢٥٩.

٣- الشيخ عمر الشهرباني القرداغي:

وهو العلامة الشيخ عمر ابن الشيخ محمد أمين بن الشيخ معروف بن الشيخ عمر بن الشيخ عبد اللطيف الكبير. ولد سنة ١٣٠٣هـ- ١٨٨٦م. في محافظة السليمانية. قال عنه الشيخ المدرس (وبعد إقامتي عند حضرة الأستاذ المعزى إليه فتحت علي آفاق جديدة لكسب العلوم التدقيق والتحقيق وكتابة الحواشي والتعاليق. فتداركت ما فاتنى وبادرت إلى اكتساب ما يهمني من العلوم، فقرأت عنده أقصى الأماني في البلاغة، والفريدة في النحو وسمعته أفادته لكتاب البرهان في المنطق.... الخ[١]. توفي سنة ١٣٥٤هـ. ودفن في مقبرة كردي سيوان في محافظة السليمانية[٢].

٤- الملا محمد سعيد العبيدي.

هو العالم الفاضل والزاهد الكامل الملا محمد سعيد بن أحمد بن فتاح، من وجهاء قرية أبي عبيدة فوق حلبجة، مولد سنة ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٧٩م، قال الشيخ المدرس -رحمه الله- في سنة ١٣٣٩هـ، انتقلت إليه لكسب علم المنطق، فبقيت في حضرته وقرأت مقداراً من برهان الكلنبوي، ودرسني خير التدريس، وبقيت هناك مدة قليلة ففارقته ثم رجعت إليه سنة ١٣٤١هـ. وكنت أقرأ كتاب (لب الأصول) في أصول الفقه تأليف شيخ الإسلام القاضي زكريا -رحمه الله تعالى- توفي رحمه الله سنة ١٣٤٦هـ. الموافق لسنة ١٩٢٦م[٣].

٥- الملا محمد أمين الباليكدري .

ولد في قرية باليكدر سنة ١٢٧٠هـ. الموافق ١٨٤٩م. وصفه المدرس -رحمه الله- بأنه كان يتورع عن الشبهات باحتياط كامل قرأ الشيخ المدرس في مدرسته في جامع سر شقام في السليمانية[٤].

---

(١) ينظر علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص٣٢٦.

(٢) ينظر المصدر نفسه، ص٤١٦.

(٣) ينظر المصدر نفسه، ص٥٥٠- ٥٥١.

(٤) ينظر المصدر نفسه، ص٥١٤.

- **ثانياً: تلاميذه**

تخرج على يد الشيخ العشرات من علماء الدين لا يمكن حصرهم لأن هذا أمر صعب؛ لأن الذين تتلمذوا على يده وأخذوا العلم عنه وأكملوا الدراسة على يده كثيرون، وينتمون إلى مختلف البقاع، فمنهم الإيراني والتركي والمغربي والجزائري[١]. ومنهم الأفغاني والهندي والماليزي والأندنوسي والباكستاني ، حيث كانت (بيارة) دوماً ملتقى العلماء والطلبة الأكراد القادمين من العراق وسوريا وغيرها للدراسة الدينية[٢].

وذكر الذين ترجموا لحياته أسماء مجموعة من تلامذته فمنهم: (ملا محمد زاهد بن صالح الباويلي، وأسد الله الطالشي، وحسام الدين الموكرياني، وبهاء الدين الخورخوري، ملا خضر الئالاني، وأحمد السردشتي، وعمر العزي ،وملا علي الجوانربي، وملا محمود الويسه يي، وملا سعيد البالكي، وملا محسن الألماني، والشيخ محمد بن شيخ مارف النركسة، وملا علي الكويريكي، والشيخ الدكتور رافع العاني، والشيخ هاشم الآلوسي وغيرهم الكثير)، ويتمتع الغالبية العظمى من الذين تتلمذوا على يده بعلم غزير وإدراك واسع وعقلية منفتحة، وسلكوا طريق التدريس، ولهم الدور الكبير في الإسلام ونشره[٣].

(١) علماؤنا في خدمة العلم والدين، ص٣٢٩.

(٢) الشيخ عبد الكريم المدرس وآراؤه الكلامية ، ص١١.

(٣) ينظر: جهود الشيخ عبد الكريم المدرس الفقهية، ص٣١، والشيخ عبد الكريم المدرس وآراؤه الكلامية.

ثالثاً: مؤلفاته

ترك لنا الشيخ –رحمه الله– ثروة علمية قيمة ،ومؤلفات في شتى العلوم ومختلف الفنون، تدل على غزارة علمه وفهمه وذكائه، فكان من المجددين، وقد أسهم –رحمه الله– في ديمومة المدارس الإسلامية والفقه الإسلامي بنتاجاته وآثاره العلمية، وذلك باللغات الثلاثة العربية والكردية والفارسية. وفيما يأتي عرض سريع لبعض لمؤلفاته المطبوعة وغير المطبوعة مقسمة على حسب اللغة:

أولاً: مؤلفاته باللغة العربية:

١- الوسيلة في شرح الفضيلة: للسيد عبد الرحمن الملقب بالمولوي (ت١٣٠٠هـ).
٢- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، عشر أجزاء، ١٩٨٦.
٣- جواهر الفتاوى ٣ اجزاء.
٤- الفرائد الجديدة، تحتوي على نظم الفريدة وشرح المطالع السعيدة للإمام السيوطي، ومعه المواهب الحميد للشيخ عبد الكريم المدرس.
٥- المذاهب الحميدة في نظم الفريدة.
٦- رسائل الرحمة في المنطق والحكمة.
٧- رسائل العرفان في الصرف والنحو والوضع والبيان.
٨- نور الإسلام.
٩- علماؤنا في خدمة العلم والدين.

ثانياً: مؤلفاته باللغة الكردية

١- أساسي سعادت (أساس السعادة).
٢- أوي حيات (ماء الحياة).
٣- إقبال نامه.
٤- نور ونجاة (النور والنجاة).
٥- قصيدة في نور الصباح (قصيدة نور الصباح).
٦- مجموعة الخطب الدينية لأيام الجمع.

ثالثاً: مؤلفاته باللغة الفارسية:

١- فوائد الفواتح شرح النوائح للمولوي.
٢- شمشي كاري بر فرق نسيم رستكاري.

المبحث الثاني

سورة مريم الى الآية ٤٠

سورة مريم، مكية، وهي ثمان وتسعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ ﴾ .

قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ روي في معنى هذه العبارة أقوال منها اسم الله تعالى، ومنها: إنها اسم للقرآن، ومنها: إنها اسم للسورة، ومنها: إن تلك الأحرف للإشارة إلى معانٍ متمايزة. وفوض بعضٌ علم حقيقة ذلك إلى حضرة علام الغيوب[1].

(١) اخرج الطبري في تفسيره ٤٥٢/١٥ عن قتادة أنه قال في قوله تعالى (كهيعص): ((اسم من أسماء القران)).واخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٣٩٦/٧ عن ابن عباس(رضي الله عنهما)

وهذا القول هو الذي أعتقده، فإن القرآن الكريم بيان للناس، وليس كل كلام منه بيانا لكل إنسان. فالظاهر إن هذه الأحرف التي افتتحت بها السور العديدة رموز بين الله وبين رسولهﷺ، وكان المقصود منها معلوماً عنده ﷺ. وإعرابها مبني على المقصود منها فإذا كانت اسماً للقرآن أو السورة جاز أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره قوله: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ أي هذا القرآن أو هذه السورة مشتملة على ذكر رحمة ربك عبده زكريا عليه السلام.

ويحتوي على بيان كرم الباري سبحانه وتعالى وإحسانه إلى عبده زكريا عليه السلام. ففي العبارة إضافات متتالية لاختصاصات متعالية، أي إن هذه السورة مشتملة على بيان الرحمة الواسعة الفائضة من الخالق العظيم الشأن الذي رباك ورقى بك مدارج العلو، وأوصلك مقام النبوة والرسالة العامة، وهو الرب الذي تعرفه بإفاضة هذه النعمة الجليلة عليك رحم الإنسان الذي اتصف برتبة عبوديته له وهو زكريا عليه السلام. فقوله (زكريا) بدل أو عطف بيان للعبد.

أنه قال : ((قسم أُقسم الله به هو من أسماء الله)). وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات ٢٣٠/١ برقم (١٦٣) عن أبي زكريا بن أبي إسحاق ، أخبرنا أبو الحسن الطرائفي ، حدثنا عثمان بن سعيد ، حدثنا عبد الله بن صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، رضي الله عنهما أنه قال في قوله تعالى: {كهيعص} وطه ، وطس ، وطسم ، ويس ، وص وحم عسق ، وق ، ونحو ذلك : ((قسم أقسمه الله تعالى ، وهي من أسماء الله عز وجل)) . وهذا إسناد حسن ، فيه عبد الله بن صالح قال عنه ابن حجر في التقريب٣٠٨/١ : ((كاتب الليث صدوق كثير الغلط ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة)) قال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال٤٤٠/٢ : ((أبو صالح كاتب الليث بن سعد على أمواله، هو صاحب حديث وعلم مكثر، وله مناكير)). وذكر القرطبي في تفسيره ٤٠٥/١٣ قول من قال أنها اسم للسورة . وذكر الماوردي في تفسيره (النكت والعيون) ٣٥٢/٣ أن للمسألة ستة أقوال وذكرها . ومن ذهب إلى تفويض المسالة فخر الدين الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) حيث عرض المسألة عرضاً رائعاً وناقشها نقاشاً بديعاً في بداية تفسيره سورة البقرة . ينظر تفصيلها: ٢٥٠/٢-٢٥٨.

وقوله﴿ إِذْ نَادَىٰ ﴾ ظرف لرحمة ربك، أي رحمه إذ ناداه بصفة إنه رباه وأنعم عليه بتربية جميلة وتعلية جليلة، فأوصله من العدم إلى الوجود، ومن الضعف إلى القوة والفتوة، ومن الجهل إلى العلم المعتاد بالأمور العامة، ومنها إلى العلم بأسرار الباري في خليقته، ومنها إلى إفاضة العلم بشريعته، بأن جعله رسولاً من رسل بني إسرائيل، وكان نداؤه له ﴿رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴾ مستوراً من الناس ومن أسماعهم، أي إنه كان في معبده الخاص وعند اعتزاله عن الناس لعبادة ربه.

فناداه بوصف الربوبية و﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى ﴾ أي ضعف العظم الذي هو عماد الجسد والهيكل الخاص ضعفاً ينذر بالموت والفناء ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ تمييز من نسبة الاشتعال إلى الرأس ومحول عن الفاعل أي اشتعل شيب الرأس، ومعناه: إن شعر الرأس أبيض كله وصفاً البياض من الشيب، فصار كلمعة ذات بريق ولمعان، وأنا إذ أناديك أناديك على رغبةٍ في الإجابة وثقة بسعة رحمتك العامة للناس والخاصة بالنسبة إلي إذ ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ ﴾ في سالف الزمان إلى الآن ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ أي لم أكن في دعائي إياك خائباً في وقت من الأوقات سواء دعوتك لدفع آفة من الآفات أو جلب كرم وهبة من الهبات، (و) دعائي هذا مقرون بخوف البلاء﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ ﴾ أي الرؤساء ﴿مِن وَرَآءِى ﴾، والمراد بنو أعمامي المتوجهين إلى الدنيا الذين لا يراعون قواعد الشريعة فأخاف فوات تراث النبوة والرسالة فينا ﴿وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ أي لا تلد من حين شبابها إلى شيبها.

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ أي ولدا من صلبي ﴿ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ والجملة صفة لقوله ولياً وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين ويعقوب عليه السلام هو ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام.

والمراد يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة والرسالة والقيام بأمر الدين وتوجيه الأمة إلى رب العالمين، على نهج قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[1].

وليس المراد ارث المال والملك لأن آل يعقوب من عهده إلى عهد زكريا عليه السلام ما كان يعلم عددهم وأحوالهم إلا الله فلا ينال أي واحد منهم من ممتلكات آل يعقوب إلا قرصة وهي بالفرصة. فليس في الآية منافاة مع قوله ﷺ: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة))[2]، لأن الحديث الشريف في الملك والمال ودعوة

(١) سورة فاطر من الآية : ٣٢ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨٨/١ برقم (٩)، والبخاري في صحيحه ، كتاب المغازي، باب حديث بني النضير ٩٠/٥ برقم (٤٠٣٣) و(٤٠٣٤) و(٤٠٣٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب قول النبي (ﷺ) (لا نورث ما تركناه صدقة)، ١٣٧٩/٣ برقم (١٧٥٨)، وأبو داود في سننه ، كتاب الخراج والأمارة والفيء ، باب في صفايا رسول الله (ﷺ) من الأموال ،١٤٢/٣ برقم (٢٩٦٨)، وغيرهم من طريق مالك بن انس ، عن محمد بن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة (رضي الله عنها) دون لفظ :((نحن معاشر الأنبياء)). وأخرجه بلفظ :((نحن معاشر الأنبياء)) الربيع بن حبيب في مسنده ص ١٣٢ برقم (٦٣٥)، عن أبي عبيدة ،عن جابر، عن عائشة (رضي الله عنها) به . والحديث بهذا اللفظ ضعيف ، لأن الربيع بن حبيب منكر الحديث، قال عنه البخاري في تاريخه٢٧٧/٣:((منكر الحديث)) ، وقال عنه الحافظ الذهبي في الكاشف (٣٩١/١) : منكر الحديث شيعي . وقال عنه ابن حجر في التقريب ص ٢٠٦ : صدوق، ضعف بسبب روايته عن نوفل بن عبد الملك . وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ، كتاب الفرائض: باب ذكر مواريث الأنبياء ٩٨/٦برقم (٦٢٧٥) ، والطبراني في الأوسط ٢٦/٥برقم (٤٥٧٨)، بلفظ :((إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة)) . وأخرجه الدارقطني في العلل٢٣١/١ برقم (٣٤) ، من رواية أم هانئ عن فاطمة عليها السلام عن أبي بكر الصديق بلفظ :((إن الأنبياء لا يورثون ما تركوا فهو صدقة)) .وأخرجه الحميدي في مسنده٢/ ٢٧٦ برقم (١١٦٨) بلفظ :((لا تقتسم ورثتي دينارا، ما تركت بعد نفقة أهلي، ومؤنة عاملي فهو صدقة، ولا تقتسم ورثتي دينارا)). قال ابن حجر في الفتح ٨/١٢ ((وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ :(نحن معاشر الأنبياء لا نورث) فقد أنكره جماعة من الأئمة وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ

زكريا عليه السلام في النبوة والإجلال والدين، ولما كانت النبوة موهوبة والإرث كالموهوب لأنه ليس تملكاً اختيارياً ناسبه التعبير عن وصولها إلى النبي بالتوريث.

وقيل: أراد بالأول النبوة وبالثاني الملك والرئاسة. ويؤيد ذلك ما روي أن بني ماثان كانوا رؤوس بني إسرائيل وملوكهم، وكان زكريا عليه السلام رئيس الأحبار يومئذ، فأراد أن يرث من ولده الحبورة[1] ويرث من بني ماثان ملكهم أيضاً، فتكون الوراثة مختلفة في المتعاطفين[2].

ويؤيد ذلك قوله ﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ أي مرضياً عندك قولاً وفعلاً، فإن الملوك قلما يرضى عنهم، فأجابه ربه واستجاب نداء عبده ودعاءه وقال: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ وكان القول بواسطة الملك جبريل عليه السلام، والغلام الولد الذكر، وفي تعيين اسمه عليه السلام تأكيد وتشريف له عليه السلام من حيث إنه تعالى وضع له الاسم المشعر ببقائه وحياته حياة مباركة طيبة، ولذلك قال: ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ أي شريكاً وعديلا له في هذا الاسم، فلما علم باستجابة ربه له وعلم إن امرأته عجوز وهو كذلك استأنف و﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ

(نحن) لكن أخرجه النسائي من طريق ابن عيينة عن أبي الزناد بلفظ (إنا معاشر الأنبياء لا نورث) الحديث أخرجه عن محمد بن منصور عن ابن عيينة عنه، وهو كذلك في مسند الحميدي عن ابن عيينة ،وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه، وأورده الهيثم بن كليب في مسنده من حديث أبي بكر الصديق باللفظ المذكور، وأخرجه الطبراني في الأوسط بنحو اللفظ المذكور، وأخرجه الدارقطني في العلل من رواية أم هانئ ،عن فاطمة عليها السلام ،عن أبي بكر الصديق بلفظ: إن الأنبياء لا يورثون)) .

(١) الحبورة : كلمة مشتقة من حبر على وزن فعل، والحاء والباء والراء أصل واحد منقاس مطرد، وهو الأثر في حُسْنٍ وَبَهَاءٍ. فالحبار: الأثر. قال الشاعر يصف فرسا:
ولم يقلب أرضها البيطار ... ولا لحبليه بها حبار ، ثم يتشعب هذا فيقال للذي يكتب به حبر، وللذي يكتب بالحبر حبر وحبر، وهو العالم، وجمعه أحبار . (ينظر: مقاييس اللغة ١٢٧/٢)

(١) أورده الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره ٥١١/٢١ من قول الكلبي ، ولم أقف على سنده ، وذكره الالوسي في تفسيره (روح المعاني)،٣٨٢/٨.

﴿ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا ﴾ عقيما ﴿ وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴾ حال مؤكدة لاستبعاد حدوث الولد له.

والعتي: مصدر بمعنى اليبس والقحول في المفاصل. وأصله: عتوو كقعود قلبنا الواو المتطرفة المضموم ما قبلها ياء، فقلبنا الواو الواقعة قبلها ياء لقاعدة الاجتماع، وأدغمنا الياء في الياء، وكسرنا ما قبلها وما يليها للمناسبة واللين في اللسان فصار عتياً. أي: قد بلغت إنا من أجل كبر السن يبساً وقحولاً، أو حالةً لا سبيل إلى إصلاحها.

وإنما قال (عليه السلام) ذلك مع سبق دعائه وقوة يقينه بقدرة الله تعالى استعظاماً لا استبعاداً لأنه شهد وجود الولادة بدون السبب الاعتيادي، وذلك مما لا بأس به ولو من الأنبياء والرسل-عليهم السلام-. وقد يقال: إنه سأل بذلك بعد تيقنه بحصول المقصود لإظهار قدرة واجب الوجود بين أهل الإيمان والجحود ليزداد الذين آمنوا إيماناً ولينتبه الجاحدون عسى إن يتوبوا إلى ربهم.

﴿ قَالَ ﴾ الله سبحانه ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ ﴾ والمعنى: قال الله تعالى: كذلك قال ربك، وقال: هو علي هين أي سهل ﴿ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ أي وما كنت موجوداً بل كنت معدوماً.

فالخلق وإن كان على سبيل تسلسل الأسباب الاعتيادية لكن خلق كل سبب منها كان مربوطاً بإبداع وإيجاد آني، حتى لو فرضنا أن الأسباب اللاحقة مرتبة على وجود الأسباب السابقة التي هي من المعدات للواحق لكن السبب الأول ليس له سبب إلا تعلق إرادة الفاعل المختار والأمر إليه بالاعتبار.

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗ ﴾ أي علامة على علوق الولد، فإن الإشارة كانت مطلقة ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴾ أي علامته حدوث حالة غير اعتيادية لك، وهي عبارة عن عجزك عن التكلم والتعبير مدة ثلاث ليال متساوية، أو حال كونك سوياً في الخلق سليماً في البدن، يعني: إنك تقدر على التكلم مع نفسك، وقراءة أسفار التوراة (وليس فيك عجز عن مرض مع إن الله جعلك بحيث لا تقدر

على التكلم مع الناس)، وهذه خارقة للعادة ،﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ أي: فلما فاجأه ما قدر له ربه من العلامة وعرض عليه تلك الحالة أشار إلى قومه أن سبحوا ربكم وآتوا بواجبات عباداتكم بكرة وعشياً بدون انتظار حضوري معكم. والتسبيح جاء بمعنى: التصلية، أي: صلوا صلاتكم المشروعة في دينكم، أو المراد سبحوا الله واحمدوه واذكروه بكرةً وعشياً.

وإنما ذكر التسبيح لمناسبة المقام فإنه مقام التعجب من قدرة الباري تعالى من خلق الولد من عجوزين عاجزين يابسين كما يتعجب من انعقاد الثمرات على أغصان شجرة يابسة.

﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾،وقلنا للولد لما ولد وتربى وبلغ مجال الفهم والتمييز: يا يحيى خذ الكتاب المستطاب المعهود بينكم ، وهو التوراة لقراءته وفهمه وحفظه ونشره وترويجه بين الناس بقوة بدون ضعف وفتور، وبجد بدون توانٍ وكسل وقصور﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ ﴾ أي العقل المستقيم أو الحكمة في الأمور كلها في ما يتداول بينهم، أي فهم الأحكام والقضاء بين الناس، أو الحكم الإلهي بإعطاء النبوة والرسالة على منهج الرسل السابقين من آبائه وأعمامه الكرام حال كونه ﴿صَبِيًّا ﴾.

قيل: إنه كان في السنة السابعة من عمره[1]، ولم ينبأ نبي قبل الأربعين إلا يحيى وعيسى–عليهما السلام–[2] ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾أي وآتيناه من لدنا عطفاً ورحمة بالناس

(١) أورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب٤٠٢/٤ برقم (٧١٦٨)، عن ابن عباس انه قال: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ((هو يحيى بن زكريا ، أعطي الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين))، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨٤/٥ الى أبي نعيم وابن مردويه والديلمي عن ابن عباس عن النبي (ﷺ). وذكره الالوسي في تفسيره ٣٩١/٨.

(٢) المسألة فيها خلاف ، فقد ذهب أكثر العلماء الى أنّه لم ينبأ نبيّ قبل الأربعين بدون استثناء . وذهب بعض العلماء على خلافه. مستدلين بما ورد في شأن عيسى ويحيى بقوله ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٣٠). وبقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾(مريم: ١٢)

لاسيما الضعفاء بالجهل وقلة ذات اليد ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي طهارة في النفس فيكون كالعلة للوصف السابق، لأن الشفقة تنبت من القلب الطاهر، أو زكاة وصدقة منه للناس أي أثريناه فأخذ يتصدق على المستحقين، أو براً وإحساناً لوالديه.

والكل معروف من أهل المعروف ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ موصوفاً بالتقوى بأركانها وهي التقوى عن الكفر والجحود، والتقوى عن المعاصي، والتقوى عن الانهماك في الدنيا ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ محسنا إليهما بمعنى الكلمة ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾ متعالياً على الناس ﴿عَصِيًّا﴾ أي مخالفاً أمر مولاه أو مستبداً برأيه عاصياً على الناس فيأخذ بآرائهم كلما ظهر له إصابتها.

﴿وَسَلَٰمٌ﴾ من الله نازل عليه ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ من مس الشيطان ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ من وحشة النفس من مفارقة الخلان ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ قاصداً لقاء ربه المنان من العذاب وأهوال النيران، أو من النقصان في الحساب والميزان.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا

قال ابن العربي في أحكام القران ٢٤٨/٣ :((المراد بالحكم هاهنا: ثلاثة أقوال:الأول: الوحي. والثاني: النبوة. والثالث: المعرفة والعمل بها. وهذا كله محتمل يفتقر إلى تحقيق؛ فأما من قال: إنه الوحي فجائز أن يوحي الله إلى الصغير، ويكاشفه بملائكته وأمره، وتكون هذه المكاشفة نبوة غير مهموزة رفعة ومهموزة إخبارا، ويجوز أن يرسله إلى الخلق كامل العقل والعلم مؤيدا بالمعجزة، ولكن لم يرد بذلك خبر، ولا كان فيمن تقدم. وقول عيسى: {إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا} [مريم: ٣٠] . إخبار عما وجب له حصوله، لا عما حصل بعد)) انتهى . قال ابن القيم في زاد المعاد ٨٢/١ ، في بعثة النبي (ﷺ) ((بعثه الله على رأس أربعين وهي سن الكمال. قيل: ولها تبعث الرسل، وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير إليه)).

﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

قوله تعالى﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ كلام مستأنف خوطب به النبيﷺ،المراد بالكتاب القرآن الكريم أو السورة المباركة، إذ هي التي صدرت بقصة زكريا عليه السلام المستتبعة لقصتها وقصص الأنبياء المذكورين فيها للمناسبة الملحوظة، أي واذكر للناس النبأ العظيم العجيب المتعلق بمريم-رضي الله عنها- من حيث ولادة سيدنا عيسى منها بلا علاقة أب، وقوله ﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ ﴾ ظرف للنبأ المقدر المستفاد، أي واذكر نبأ مريم إذا انتبذت واعتزلت من أهلها مكاناً شرقياً من بيت المقدس، أو انتبذت من دارها مكاناً شرقياً لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط أو الستر المقدر كما يفيده قوله تعالى﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ أي لأداء حاجتها بأدب واحتجاب ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ أي روحاً من عندنا،أي ملكاً من عندنا تحيا بالوحي الذي معه قلوب العباد وهو جبريل عليه السلام ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا ﴾ ،أي فتصور لها﴿ بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ في الخلق كامل الأعضاء حسناً وجيهاً نبيهاً،ولما تمثل لها ورأته انزعجت و ﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ ﴾ حيث ظهرت في مظهر لا يناسب أهل العفة والإيمان،فإني امرأة محتجبة،ومعتزلة في محل مستور عن الأعين لقضاء واجبي بالأدب والكرامة ﴿ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ شرط وجوابه مقدر يدل عليه ما تقدمه وهو فابتعد عني. أي إن كنت من أهل التقوى والصيانة ،اتركني واذهب من حيث جئت.ولما علم انزعاجها هدأها و قَالَ لتطمينها: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾لا المعتدي على أدبك، وأرسلت﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ ،أي لأكون سبباً في إعطاء ولد طاهر من الذنوب أصلاً وفصلاً.

فلما سمعت كلامه ﴿ قَالَتْ ﴾ مستنكرةً: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ﴾ بالوجه الحلال ﴿ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ زانية ،ما مسني أحد بالوجه الحرام. قال جبريل عليه السلام ﴿ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أي قال ربك قولاً مثل ذلك الذي قلت لك من إعطاء ولد لك

﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ أي وهو علي هين سهل يسير ،وقوله ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ تعليل لحكم محذوف،أي ونهب لك ذلك الغلام لنجعل ذلك الوهب آية وبرهاناً للناس المنصفين على قدرتنا الباهرة، ليعتقدوا إنا كما قدرنا على خلق أبي البشر بلا أب ولا أم نقدر على خلق إنسان من أعيان النوع بلا أب (و) لنجعله﴿ وَرَحْمَةً مِنَّا ﴾ ،أي وسيلة انتشار رحمة منا،وهي الاهتداء بهديه والاسترشاد بإرشاده، أو رحمة منا للعباد المبتلين بالأمراض والأعراض حيث تجلينا بقدرتنا عليه، فتبعث الحياة في أجساد مصورةٍ بصورة الطيور بنفخٍ مباركٍ منه، وتحيي الأموات المدفونين في القبور بإيقاظٍ منه وتبرئ الأكمه والأبرص بمساسٍ من راحته﴿ وَكَانَ ﴾ ذلك ﴿ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ لنا أزلاً.

وقوله ﴿ فَحَمَلَتْهُ ﴾ فيه إيجاز الحذف[١] ،أي: فاطمأنت بكلامه، ونفخ جبريل في جيبها فدخلت النفخة في جوفها فحملته أي الولد الموعود،وسنها إذ ذاك خمس عشرة سنة في أرجح الأقوال، ومدة حملها به تسعة أشهر كما في سائر النساء[٢]،

والفاء في قوله تعالى ﴿ فَانتَبَذَتْ ﴾ للاتصال العرفي المعتاد،وقيل حملت في ساعة النفخ وصور فيها ووضعته في ساعة[٣] بعدها حين زالت الشمس من يومها

(١) إيجاز الحذف من علوم البلاغة ، ومعناه أن يكون قدر المعنى فوق قدر الكلام فيحتاج إلى الحذف والاختصار.(ينظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء٦٧/١)

(٢) ورد في مدة حملها (عليها السلام) عدة أقوال ذكرها الثعلبي في تفسيره ٢١٠/٦ ، فقال(رحمه الله) : ((واختلفوا في مدّة حملها ووقت وضعها، فقال بعضهم: كان مقدار حمله تسعة أشهر كحمل سائر النساء، ومنهم من قال: ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنّه لم يعش مولود وضع لثمانية أشهر غير عيسى، وقيل: ستّة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة)).

(٣)أورد القرطبي في تفسيره ٤٣٠/١٣ عن ابن عباس انه قال : ما هو إلا أن حملت فوضعت في الحال. قال القرطبي : ((وهذا هو الظاهر، لأن الله تعالى ذكر الانتباذ عقب الحمل)) . وأورد الثعلبي في تفسيره ٢١٠/٦ عن مقاتل بن سليمان انه قال : ((حملته مريم في ساعة

﴿فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ﴾ أي فاعتزلت وهو في بطنها،فالباء للملابسة والمصاحبة﴿مَكَانٗا قَصِيّٗا﴾، أي مكاناً بعيداً من أهلها استحياء منها.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾، أي ألجأها وجع البطن المعهود عند الولادة إلى جذع النخلة، وهي ما بين العرق ومتشعب الأغصان من الشجرة، وذلك لتستند إليها عند الولادة، والتعريف إما للجنس أي جذع أية نخلة للغاية المذكورة، أو نخلة معهودة هناك لكبرها وسترها لها وصلاحيتها للاستناد أيضاً.﴿قَالَتۡ﴾ عند ذلك حياء وانفعالاً نفسياً منها ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا﴾ الوقت العسير﴿وَكُنتُ نَسۡيٗا﴾ أي شيئاً تافها﴿مَّنسِيّٗا﴾ لا يخطر ببال أحدٍ فينسى من حقارته. ومِت بكسر الميم من مات يمات كخاف يخاف، أو مات يميت كجاء يجيء، وقريء بضمها من مات يموت كصان يصون.

ونسياً بفتح النون وكسرها الشيء التافه الذي لا يعتد به، وشأنه أنه ينسى كخرقة الطمث[١]، وهما لغتان سيان[٢].

وقال بعض: الأفصح الفتح، وبعض الكسر. وقال بعض اللغويين بكسر النون اسم لما ينسى، وبفتحها مصدر نسي ينسى من الرابع.

وصوّر في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها، وهي بنت عشر سنين وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى)).

(١) الطمث: لغة الدم وله معاني اخرى فيطلق على المرأة الحائض طامث ، قال أبو الهيثم: ((يقال للمرأة :طمثت تطمث، أي: أدميت بالافتضاض، وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض، فهي طامث)). (ينظر: تهذيب اللغة ٢١٦/١٣) .

(٢) قال أبو بكر بن مجاهد البغدادي في كتابه السبعة في القراءات ٤٠٨/١ : ((واختلفوا في كسر النون وفتحها من قوله (نسيا منسيا) ، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر والكسائى (نسيا) بكسر النون ، وقرأ حمزة (نسيا) بفتح النون ، واختلف عن عاصم فروى أبو بكر عنه (نسيا) كسرا ، وروى حفص (نسيا) فتحا مثل حمزة)).

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ أي فولدت الولد،وهو عيسى عليه السلام لدلالة المخاض عليه،وناداها من تحت ثيابها ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ أي أن لا تحزني، وكلمة أن مفسرة للفعل، أي لا تحزني من هذا الحادث بل افرحي واشكري ربك على نعمة ولادة هذا المولود المسعود ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ أي ولداً رفيع الشأن عند الله وعند الناس، وكون المنادي عيسى عليه السلام معجزة تليق بمقام حزنها لتطمئن.

وروي إن المنادي جبريل[1]، ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾ أي من جانب مكان أخفض من مكانها بعيدا منها والسري جدول الماء والكل محتمل وأعتقد إن الأول أولى المنادي في أسباب اطمئنانها وقال: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ أي هزيها وحركيها إلى جانبك، فإذا هززت بها تساقط عليك رطباً أي تسقط عليك رطبا مجنيا بلا تكدر بغبار لأن فيها مسكة وقواماً. وفي هذا الطلب إعجاز من جهات:

الأولى: إن الطلب من صبي لم يشرب اللبان بعد.

الثانية: إن النفساء المريضة النحيفة اللطيفة غير قادرة على هز العود الصلب لتهتز بحيث يسري اهتزازه إلى الأغصان.

---

(١) قال الطبري في تفسيره ١٥ / ٥٠١-٥٠٢: ((اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) بمعنى: فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله؛ فمن متأول منهم إذا قرأه (مِنْ تَحْتِهَا) كذلك؛ ومن متأول منهم أنه عيسى، وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته. وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرةفَنَادَاها مَنْ تَحْتَها) وبفتح التاءين من تحت، بمعنى: فناداها الذي تحتها، على أن الذي تحتها عيسى، وأنه الذي نادى أمه. ثم ذكر من قال إن الذي ناداها من تحتها الملك فقال : حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يحيى بن واضح، قال: حدثنا عبد المؤمن، قال: سمعت ابن عباس قرأ: (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) يعني: جبريل ، وقال أيضا : حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا أبو عامر، قال:حدثنا سفيان، عن جويبر، عن الضحاك (فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) قال: جبرائيل)).

الثالثة: إن الوقت لم يكن وقت الثمر كما روي عن بعض(١).

الرابعة: إنها أثمرت فوراً ووقع الرطب على الأرض القريبة منها بدون تأثر بتراب الأرض، وكل ذلك حتى تطمئن نفسا بأنها متبركة قدسا.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾، أي كلي من الرطب الحار المعتدل المناسب للنفساء، واشربي من الماء الزلال ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ أي طيبي نفساً،وارفضي عنها ما أحزنها،فكأنك بالوادي القدسي لا في البيت المعتاد الشخصي،ومعنى الفعل أصلاً وتبردي عيناً، فإن ماء القلب إذا فار فرحاً يفور بارداً، وإذا شرد ووصل إلى العين بردها ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ وتكلم معك حول الموضوع ﴿فَقُولِي﴾ له بالإشارة ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ ،أي نذرت له صمتاً وسكوتاً، وإلا فالصوم حرام في وقت الحيض. ولا يقتضي السكوت أيضاً حتى يفيدها، اللهم إلا إن يكون ذلك جائزاً كذلك في تلك الشريعة.

وإذا كان قولها ذلك بالمعنى نذرت السكوت بعد هذا الكلام،وإنما أفادها ذلك حتى يكون الولد الرضيع هو الذي يتكلم ويدوي صوت المعجزة في كهوف الأدمغة الجوفاء، فيجفو من جفا ويصفو من صفا.

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن

(١) أورد الطبري في تفسيره ٥١١/١٥ ، عن محمد بن سهل بن عسكر، قال: حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء .

وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ أي فلما اطمأنت نفساً بجانب قدسها،وإن المولود من مواليد كن فيكون، جاءت قومها حاملةً له بعزة نفس وقوة أُنس، راجية من ربها العزيز القدير أجراً غير ممنون. فلما رأوها وفي حضنها ولد بدون سابقة زواج وأفراح وابتهاج ظنوا بها من سوء المزاج و﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي فعلت شيئاً فرياً ،و جئت بشيءٍ فري. وفرياً معناه عظيماً أو عجيباً، وأصله من فري الجلد قطعه على وجه الإصلاح أو الإفساد، ونصبه على إنه مفعول به وقيل: مفعول مطلق، أي جئت مجيئاً عجيباً، وعبر عنه بالشيء تحقيقاً للاستغراب كان ذلك الشيء مجهول غير معتاد.

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ هذا النداء مستأنف لتأكيد التوبيخ. والمراد بهارون أخ لها من أبيها وكان صالحاً. وقيل: رجل صالح مشهور في بني إسرائيل.

وقيل: المراد هارون أخو موسى عليه السلام، والمراد بالأخت المشابه والمماثل في التقوى، أي يا أخت الأخ الصالح أو شبيهه الرجل الصالح المشهور، أو هارون اخو موسى عليه السلام، ما كان أبوك أمراً صاحب سوء في الأعمال والأخلاق، وما كانت أمك بغيا أي زانية، والأصل إذا كان زكياً فالغالب إن الفرع يكون كذلك، فمن أين لك هذا الولد؟ .

﴿فَأَشَارَتْ﴾ مريم﴿إِلَيْهِ﴾ أي إلى الولد أن كلموه ، فغضبوا عليها و ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ والمراد بالمهد حجر الأم، فأنطق الله عيسى عليه السلام معجزةً قاهرةً باهرةً إذ كان نبياً منذ الولادة، أو إرهاصاً [1].

(١) الخوارق ستة أنواع ذكرها أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي في كتابه(لوامع الأنوار البهية)٢/ ٣٩٢، (((الأول) المعجزة :وهي أمر خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة ، (الثاني) الإرهاص: وهو كل خارق تقدم النبوة فهو مقدمة لها، فالمعجزة أمر

و﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي الكتاب المختص بيّ وهو الإنجيل. وقيل: الإنجيل والتوراة ﴿ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ رفيع الشأن مخبراً من عنده ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴾ صاحب بركة وخير لنفسي بعبوديتي لله وإخلاصي ومحبتي له ولغيري بإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من مائدة الرحمة أين ما كانت في الأرض أو في السماء ﴿ وَأَوْصَنِي بِٱلصَّلَوٰةِ ﴾ وفاء بحق العبودية ومعراجاً لروحي ﴿ وَٱلزَّكَوٰةِ ﴾ وفاء بحق المستحقين وابتهاجاً لنفوسهم ﴿ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي ﴾ أي وجعلني براً محسناً بوالدتي بخدمتها في حضرتها والدعاء لها في غيبتها ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا ﴾ متكبراً على غيري ﴿ شَقِيًّا ﴾ ذا شقاوة وعصيان لربي،ولا ذا إتعاب وتعذيب لغيري ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ سلام من مس الشيطان في أول أمري، ومن النقص في الإيمان في آخر أمري، ومن سوء الحساب ونقص الميزان في وقت البعث وأحوال الحشر.

﴿ ذَٰلِكَ ﴾ المولود المسعود المبارك،وذلك الشخص الموصوف بتلك الصفات الحميدة ﴿ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ شخصية شريفة من والدة عفيفة ﴿ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ وأقول هذا قول الحق الحي القيوم﴿ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ أي يشكون ويتنازعون. فيقول اليهود:

خارق للعادة مقرون بدعوى النبوة، والإرهاص مقدمة لها قبلها كقصة أصحاب الفيل، (الثالث) الكرامة: وهي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم، (الرابع) الاستدراج والمكر، (الخامس) المعونة كما يظهر بسبب بعض عوام المسلمين وضعفاء أهل الدين تخليصا لهم من المحن والمكاره، (السادس) الإهانة والاحتقار كما فعل مسيلمة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع، ومن تفله في بئر عذبة ليزداد حلاوة فصار ملحاً أجاجاً، ومن الخوارق الفاسدة السحر والشعوذة ونحوهما)).

هو ساحر. ويقول النصارى: هو ابن الله تعالى الله عن كل ذلك علواً كبيراً﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ ما صح وما استقام في إدراك المدركين وعقل العاقلين، بالنسبة إلى واجب الوجود المستغنى عن كل موجود ﴿ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ﴾ في عالم الإمكان والحدوث والشهود، فإن الواجب الوجود المطلق بريء مما هو يناسب الممكنات المستفيدة للوجود المؤقت من إرادة الباري وقدرة ذات الحق ﴿سُبْحَانَهُ﴾ فننزهه تنزيها وجيهاً من هذه العلائق الغير المعقولة، فإن الافتقار إلى الولد إنما للتعاون مع الغير ودوام السلسلة في السير، والباري سبحانه غني مطلق في إيجاد كل موجود من كل عون ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾ وأراد وجوده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ﴾ أي لصورته العلمية ﴿كُن ﴾أي كن ذا عين أعياني ﴿فَيَكُونُ ﴾. وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ﴾ معطوف على قول عيسى عليه السلام إني عبد الله أي إني عبد الله والله ربي وربكم فاعبدوه.

هذا ما صرح به الواحدي[١] وقرره[٢] وكلام مستأنف مبني على حذف الأمر المشتق من القول خطاباً لسيد المرسلين ﷺ. أي وقل يا رسولي بعد حكاية قصة عيسى عليه السلام للناس: إن الله ربي وربكم فاعبدوه﴿هَٰذَا ﴾ الذي قررناه من وحدانية الله تعالى واستغنائه عن النسل ﴿صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ سلكه الهداة من الأنبياء والمرسلين وكل ذي عقل سليم وضل عنه كل ذي قلب سقيم. ونسأله تعالى أن يسلك بنا مسالك الأنبياء والمرسلين، ويوصلنا إلى لقائه ورضاه يوم الدين.

---

(١) الإمام العلامة، الأستاذ، أبو الحسن، علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي صاحب التفسير وإمام علماء التأويل من أولاد التجار: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل. ولد بنيسابور وتوفي فيها سنة ٤٨٦ه له تصانيف عديدة بين مطبوع ومخطوط منها (البسيط) و (الوسيط) و (الوجيز) كلها في التفسير، و(شرح ديوان المتنبي) و (أسباب النزول) و (شرح الأسماء الحسنى) وغير ذلك.(ينظر: سير اعلام النبلاء١٣/٤٥٣، الاعلام للزركلي ٤/ ٢٥٥) .

(٢) التفسير الوسيط ٣/ ١٨٣.

﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٣٩ إِنَّا نَحۡنُ نَرِثُ ٱلۡأَرۡضَ وَمَنۡ عَلَيۡهَا وَإِلَيۡنَا يُرۡجَعُونَ ٤٠ ﴾

قوله تعالى﴿ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡ ﴾ ، أي فاختلف اليهود والنصارى بينهم في شأن عيسى عليه السلام فقال اليهود هو ساحر مرتاب. وقال النصارى: بل رسول من الله إلى أولي الألباب. أو فاختلفت فرق النصارى فيما بينهم، فقال النسطورية[1]: إنه ابن الله، واليعقوبية[2]: إنه هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء.

وقال الملكانية[3]: هو عبد الله ونبيه﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ من اليهود والنصارى وغيرهم﴿ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ أي من شهودهم وحضورهم في يوم عظيم مهول للحساب والجزاء﴿ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ ﴾ أي أسمع بالذين كفروا، وأبصر بهم صيغة التعجب تفيد إن أسماعهم تدرك كل صوت ضعيف رقيق وأبصارهم تبصر كل شيء دقيق في ذلك اليوم، فيدركون ما حاق بهم من الويلات والعذاب بعدما كانوا في

(١) إحدى فرق النصارى، أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه. وإضافته إليهم إضافة المعتزلة إلى هذه الشريعة. قال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة. وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو. واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام،كإشراق الشمس في كوة على بلورة. وكظهور النقش في الشمع إذا طبع بالخاتم. (ينظر:الملل والنحل للشهرستاني ٢/٢٩).

(٢) إحدى فرق النصارى ،أصحاب يعقوب: قالوا بالأقانيم الثلاثة كما عند النسطورية ، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحما ودما، فصار الإله هو المسيح. وهو الظاهر بجسده، بل هو هو.(ينظر: الملل والنحل ٢/٣٠).

(٣) إحدى فرق النصارى أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها. ومعظم الروم ملكانية. قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم إن الكلمة مازجت جسد المسيح، كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.(ينظر: الملل والنحل ٢/٢٧).

الدنيا صماً وعمياً لا يسمعون الخطاب من الرسل الكرام،ولا يبصرون أي شيء يزجرهم عن سيء الآداب .

﴿ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ أي يوم القيامة ﴿ لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ عن طريق الحق المستبين ﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾ يا رسولي النذير ﴿ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ ﴾ بعذاب يوم الحسرة الذي يتحسر الناس فيه ﴿ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي فرغ من الحساب والميزان وأخذ كل من الفريقين طريقه إلى النار أو الجنة ﴿ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ ﴾ عن ذلك ﴿ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ بأنهم يأتيهم ذلك اليوم فينتبهون من النوم ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾ لا يبقى احد منهم إلا ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ لا إلى غيرنا فتعلم ما يستحقونه ويلقون جزاءهم.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتغفر الذنوب، وتكفر السيئات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فقد صحبت الشيخ عبد الكريم المدرس –رحمه الله– من خلال تفسيره لكتاب الله، وتبيّن لي سعة إطلاعه، وغزارة علمه، وكثرة موارده في تفسيره «مواهب الرحمن».

وسأذكر باختصار أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي:

١- رسوخ الشيخ عبد الكريم المدرس –رحمه الله– في العلم وسعة إطلاعه، وكثرة موارده.

٢- تمكن الشيخ –رحمه الله– من علوم الآلة على وجه الخصوص ومن علم التفسير على وجه العموم.

٣- من خلال النظر في تفسير الشيخ نرى أنه قد يتوسع أحياناً في بعض المسائل ويناقشها بشكل مفصل وقد لا يتوسع في بعضها.

٤- المتأمل في تفسير الشيخ يرى أنه يبتعد في أحيان كثيرة عن الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، على عكس كثير من المفسرين الذي أغرقوا كتبهم في الإسرائيليات والقصص الموضوعة.

٥- عدم اهتمام الشيخ –رحمه الله– بالجانب الحديثي إذ أنه يذكر في أغلب الأحيان الأحاديث دون بيان الحكم، وقد يذكر الحديث بالمعنى فقط.

٦- إن علم التخريج علم شريف في غاية الأهمية، خصوصاً تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتب التفسير لأنها تحتوي على كثير من الأحاديث التي قد تكون صحيحة أو قد تكون حسنة أو ضعيفة، بل وحتى الموضوعة.

٧- تفسير مواهب الرحمن يحتوي عدد لا بأس به من الأحاديث، وفي الجزء المقرر من (سورة مريم إلى نهاية سورة النور) تبين لي أن منها ما هو الصحيح، ومنها ما هو الحسن، ومنها ما هو الضعيف.

٨- اهتمام الشيخ بالجانب اللغوي للتفسير، مع عدم استخدام طبقة عالية في اللغة، فجاء تفسيره مناسباً لكل القراء بلغة سلسة وعبارات واضحة يسهل فهمها.

٩- يعد تفسير مواهب الرحمن من التفاسير التي جمعت بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي.

١٠- اهتمام الشيخ –رحمه الله- بأسباب النزول لكل آية إن وجد لها سبب مع عدم ذكر صحته أو ضعفه في اغلب الأحيان.

١١- تعدد مصادر الشيخ –رحمه الله- في تفسيره وتنوعها في الفقه والحديث واللغة وغيرها، الأمر الذي يدل على سعة علمه واطلاعه.

١٢- الاهتمام بالجانب الفقهي لآيات الأحكام، فقد يطيل النفس بالحكم الواحد وقد يقتصر، مع ذكر آراءه وترجيحاته لأغلب المسائل الخلافية بكل إنصاف وعدل.

وأخيراً أوصي الباحثين وعلماء الدين بالإهتمام في كتب التفسير تحقيقا وتخريجا ودراسة لما لها من الأهمية، ولما تحتويه هذه التفاسير من الأحاديث والآثار الضعيفة بل وحتى الموضوعة، أسأل الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا، ويعلمنا ما ينفعنا، ويزيدنا علماً، وأن ينفع بهذه الرسالة أجيال المسلمين، ويجعلها في سلك (علم ينتفع به) في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١- الشيخ عبد الكريم المدرس وآراؤه الكلامية في كتابه جواهر الكلام في عقائد أهل الإسلام : لعبد الجبار عبد الله حسن محمد الجبوري، وهي رسالة ماجستير مأخوذة من الجامعة العراقية (الإسلامية سابقاً)، بغداد سنة ٢٠٠٨م، بإشراف الدكتور : حكمت صبيح القادري .

٢- جهود الشيخ عبد الكريم المدرس الفقهية : لعبد الله سعيد ويسي الكرتكي، وهي رسالة ماجستير مأخوذة من كلية الإمام الأعظم، بغداد سنة ٢٠١٠م، بإشراف الدكتور : أحمد محمد البيلساني.

٣- جامع البيان عن تأويل أي القران المعروف باسم تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري(المتوفى ٣١٠هـ)، تح : الدكتور . عبد بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر _ القاهرة، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م.

٤- الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تح: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١،١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

٥- تقريب التهذيب، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تح: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا ط١ - ١٤٠٦ - ١٩٨٦م .

٦- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)،تح: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١ - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

٧- الجامع لأحكام القران، لأبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ)، الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

٨- مفاتيح الغيب او التفسير الكبير،لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣ ١٤٢٠ هـ.
٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل،لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تح : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة،ط١ : ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٠- صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(المتوفى ٢٥٦ه) تح : محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١- ١٤٢٢هـ.
١١- صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تح : محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٢- سنن أبي داود،لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
١٣- مسند الربيع بن حبيب: الربيع بن حبيب (ت ١٠٣)، دار الثقافة الدينية – مصر، ط١ .
١٤- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبدالله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن.
١٥- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تح: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط١ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
١٦- السنن الكبرى، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي

(المتوفى: ٣٠٣هـ)، تح: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١ - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٧- المعجم الأوسط، للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تح : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين – القاهرة.

١٨- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تح : محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة – الرياض، ط١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٩- مسند الحميدي،لأبي بكر عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله القرشي الأسدي الحميدي المكي (المتوفى: ٢١٩هـ)، تح : حسن سليم أسد الدَّارَانيّ، دار السقا، دمشق – سوريا، ط١، ١٩٩٦ م.

٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري:للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

٢١- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١ - ١٤١٥ هـ.

٢٣- الفردوس بمأثور الخطاب، أبو شجاع الديلميّ شيرويه بن شهردار، الهمذاني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، تح: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٢٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تح: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات، القاهرة، ط١ – ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م .
٢٥- أحكام القرآن: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣- ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٧- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١- ٢٠٠١م.
٢٨- كتاب السبعة في القراءات: أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر ابن مجاهد البغدادي (المتوفى: ٣٢٤هـ)، تح: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط٢ - ١٤٠٠هـ.
٢٩- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢ – ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
٣٠- سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تح : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣ - ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥ م .
٣١- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.